البابُ السابعُ والعشرون

في حِلْمِ السادات، واحتمالِ الهفواتِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[1].

وقالَ الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[2].

وقالَ رسول الله ﷺ: «ليس الشديدُ بالصُّرْعَةِ، إنما الشديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَه عندَ الغضبِ».

وقال سلمان لأمير المؤمنين علي بنِ أبي طالبٍ، ما الذي ينقذني من غضب الله؟ قال: تركُ غضبِكَ لله.

قال: وشتَم مروانُ الحسن بن علي بن أبي طالب، فلما أكثر قال: إني والله لا أمحو عنك شيئاً، ولكن موعودك بين يدي الله، فإن تك صادقاً فجزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فاللَّهُ أشدُّ نقمة.

قالَ: ودخلَ جعفر بنُ محمدِ بنِ الأشعثِ على الرشيد، وقد استخفَّه الغضبُ على رجلٍ، فقال: يا أميرَ المؤمنين إنك إنما تغضب لله، فلا تغضبْ له بأكثر مما غَضِبَ لنفسه، قال: فسكنَ غضبُه.

وقال أَكْثَمُ بنُ صيفيٍّ: الانقباضُ من الناسِ مَكْسَبةٌ للعداوة، وإفراطُ الأنس مَكْسَبةٌ لقرناءِ السُّوءِ.

---

(1) هود: الآية (75).

(2) آل عمران: الآية (134).

وقيـلَ للأحنفِ بنِ قيسٍ: ما أحلمكَ؟! قـال: تعلمتُه من قيسِ بنِ عاصمٍ المنقريِّ، بينا هو قاعدٌ بفِنائهِ، محتبٍ بكسائه، إذ أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتـوفٌ، فقيل: هـذا ابنُك قَتَلَه ابنُ أخيكَ، فواللّه ما حلَّ حَبْوَتَه حتى فَرَغَ مـن كلامِـه، ثم التفـتَ إلى ابنٍ لـه في المجلس، فقال: قـمْ فأطلقَ عن ابن عمِّك، ووارِ أخاك، واحمل إلى أمِّه مئةً من الإبل، فإنها غريبةٌ.

قـال: وكان (أنوشروانَ) دفَعَ ثلاثَ رِقاعٍ إلى خادمٍ، فأقامَه على رأسِه، وأمـرَهُ أن يدفـعَ إليه واحـدةً بعدَ واحـدةٍ إذا غَضِبَ، قـال: واشتدَّ غضبُه يوماً، فدفعَ إليه واحدةً فإذا فيها: أَمْسِكْ غضبَكَ فإنكَ لستَ بإلهٍ، ثمَّ دفعَ الثانيةَ، فإذا فيها: ارحمْ عبادَ اللّهِ يَرْحَمْكَ اللّهُ، ثم دفعَ إليه الثالثةَ، فإذا فيهـا: أَنْصِفْ عبادَ اللّهِ على حقِّ اللّهِ فإنهـم لا يسعُهم إلا ذلك، وقد ولّاك اللّهُ أمرهم.

وقـال: واشترى رجلٌ بالمدائـنِ عِدْلَ تِبْنٍ فمرَّ به سلمـانُ وهو أميرٌ بها فحبسـه علجٌ، فقال: ياكور تعالَ واحملْ هـذا، فحمله سلمانُ، وهو يمرُّ به، فجعـلَ النـاسُ يقولون أصلحَ اللّـهُ الأميرَ نحملُ عنكَ هـذا؟ فقالَ الرجل: ثكلتنـي أمي وعدمتنـي لم أَتَسَخَّـر إلا بالأمير، وجعلَ يعتـذرُ إليه، ويقول: لم أعرِفـك، فقال انطلِق، فذهبَ به إلى منزلـه، ثم قال: تفعلُ هذا بمَنْ لا تعرفُه؟ فعاهدَه ألّا يُسخَّرَ أحداً أبداً.

وقال (برويـز) لابنه: اجعلْ لاقتصـادِك سلطاناً علـى إفراطِك فإنكَ إذا قَـدَّرْتَ الأمور، وزنتَها بميـزان الحكمةِ، وقوّمتها بتقويم الثقات لم يكنْ للندامةِ على الحكمِ سبيلٌ ولا سلطانٌ.

قالَ: وكانَ قيسُ بنُ عاصم جالساً يوماً في بابِ دارِه، إذ أتته خادمةٌ بسَفُّودٍ عليه شِواءٌ، فسقطَ السَّفُّودُ من يدها على ابنٍ له، فعُقِرَ فماتَ، فدهِشَتِ الخادمةُ، فقال: قيسٌ لا يُسْكِنُ روعتَها إلا العِتْقُ، فقال: أنتِ حرةٌ، لا بأسَ عليك.

وقالَ معاويةُ للأحنفِ بنِ قيسٍ: ما لي لا أسألُ عنكَ أحداً من قومِك إلا اشتهى لكَ الشرَّ، ولا أسألُكَ عن أحدٍ من قومِكَ إلا اشتهيَت له الخيرَ؟ قالَ ذلك دأبي ودأبُهم، مذ كنتُ أمنحهم حلمي وأحمِلُ لهم جهلَهم.

وقال المنصور أميرُ المؤمنين: عقوبة الحكماءِ التعريضُ، وعقوبةُ الجهلاءِ التصريحُ.

وقال لقمانُ لابنه: يا بُنيَّ ثلاثةٌ لا تُعرفُ إلا في ثلاثةٍ: الحليمُ لا يُعرفُ إلا عندَ الغضبِ والشجاعُ لا يُعرف إلا عندَ الحربِ، والأخُ لا يُعرف إلا عندَ الحاجةِ.

الحكايةُ

حكي: أنه كان في سالف الدهر ملكٌ، وفي أهلِ مملكتِه عابدان، لا يأتيانه، فقال لهما يوماً ما يمنعكما أن تأتياني وأنتما عبدان من عبادي؟ فقالا إن صدقْتنا علمتَ أنا لسنا من عبيدِك، ولكنكَ عبدٌ لعبيدنا، قال: وكيف؟ قالا: هل عَلِمتَ قطُّ بأنا نعملُ شيئاً لغضَب أو هوىً؟ قال: لا، قالا: ألستَ تفعلُ أنتَ لذاتِك؟ قال: نعم، قالا: فإنا قد ملكناهما، وهما مَلَكَاكَ، فحينئذ أنتَ عبدٌ لعبيدنا.